

59

قصص الأنبياء

محمد

صلى الله عليه وسلم (3)

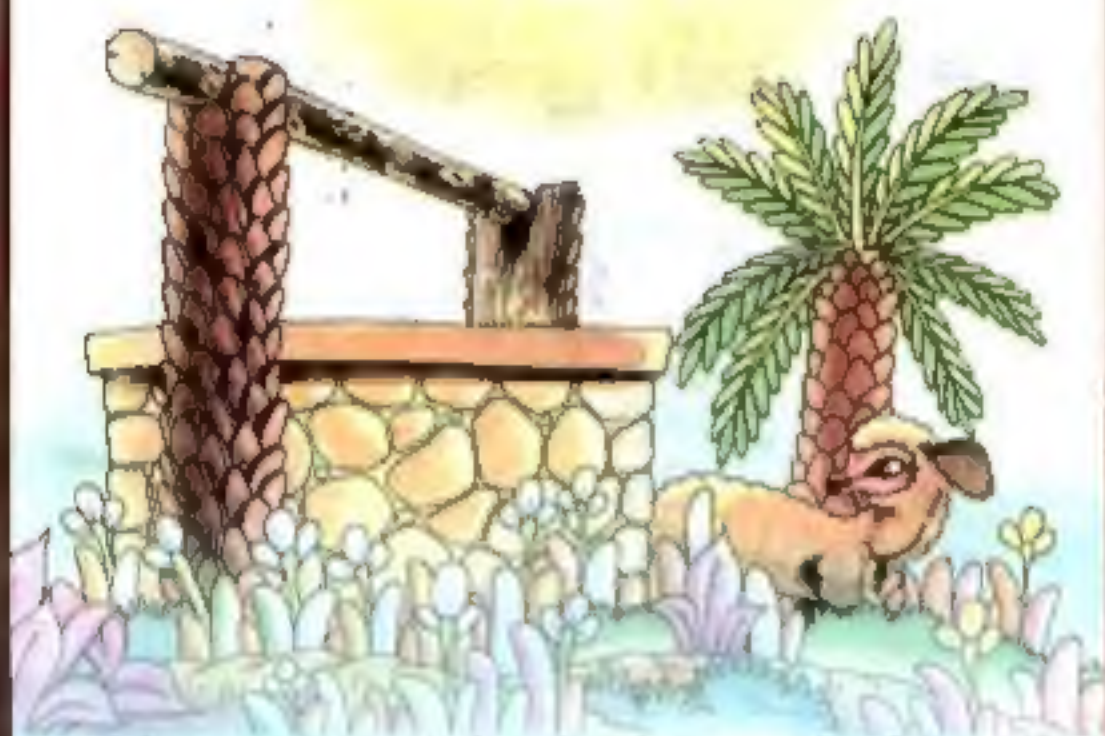
حضر زمزم

بسم الله الرحمن الرحيم (الحمد لله الذي جعل)

وسمى له الحبيب الكائن في مكة

أمر الله له حبيباً ومحباً





أمر عبد المطلب بحفر بئر زمزم ، فلما بدأ الحفر ،
قامت إليه قریش وحاولت منعه من الحفر وحده ،
حتى يكون لها نصيب في البئر فرفض

عبدُ المطلب ، وقال لهم إنه قد خُصَّ بهذا
الشرف دونهم .. وقال عبدُ المطلب لابنه الحرث ولم
يكن له يومها ولدٌ غيره :
- دُدْ عني حتى أحفر ..

فلما رأى عبدُ المطلب أنه ليس معه من الولد من
يدافع عنه ، نذر لله أنه إذا رزق عشرة من الولد ثم
كبروا ، حتى صاروا رجالاً يذودون عنه أن ينحر
(يذبح) أحدهم عند الكعبة ..
فقالت له قريش :

- لن نتركك تحفر حتى يكون لنا نصيبٌ في زمزم ،
أو نجعل من يحكم بيننا وبينك فيها ..
فقال لهم عبدُ المطلب :

- اختاروا من شئتم ليحكم بيني وبينكم في هذا
الأمر ..

فَاخْتَارَتْ قُرَيْشٌ أَنْ يَذْهَبُوا مَعَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ
إِلَى كَاهِنَةِ بَنِي سَعْدٍ بِأَطْرَافِ الشَّامِ لِتَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
فِي هَذَا الْأَمْرِ .

وَهَكَذَا تَجَهَّزَتْ قُرَيْشٌ لِلسَّفَرِ إِلَى كَاهِنَةِ بَنِي سَعْدٍ ،
فَاخْتَارُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ نَفَرًا ، وَأَخَذَ
عَبْدُ الْمَطْلَبِ مَعَهُ بَعْضَ أَقَارِبِهِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَاةٍ ..

وَسَارَ الْمَوْكِبُ يَقْطَعُ الصَّحْرَاءَ ، إِلَى الشَّامِ ، وَكَانَ
السَّفَرُ فِي الصَّحْرَاءِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ شَاقًّا يَقْطَعُهُ
الْمَسَافِرُونَ عَلَى الْجُمَالِ ، وَقَدْ تَرَوَّدُوا بِالمَاءِ وَالطَّعَامِ ..

فَلَمَّا كَانَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ قُرَيْشٍ فِي
الصَّحْرَاءِ ، نَفَدَ الْمَاءُ الَّذِي كَانَ مَعَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَأَقَارِبِهِ
، بَيْنَمَا كَانَ مَعَ الْمَسَافِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ مَاءٌ ، فَطَلَبَ
مِنْهُمْ عَبْدُ الْمَطْلَبِ مَاءً لَهُ وَلِمَنْ مَعَهُ ، فَرَفَضُوا أَنْ
يُعْطُوهُمُ الْمَاءَ ، وَقَالُوا لَهُمْ :

- إِنَّنَا فِي الصَّحْرَاءِ ، وَنَحْنُ نَخْشَى عَلَى أَنْفُسِنَا مِثْلَ
مَا أَصَابَكُمْ ..



فلما رأى عبد المطلب ذلك أدرك أنه ومن معه
سيهلكون من العطش ، فقال لهم :

— ماذا ترون ؟ !

فقالوا له :

— إن رأينا تبع لرأيك ، فمُرنا بما شئت ..

فقال عبد المطلب :

— فإنني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه
بما بكم الآن من القوة ، فكلما مات رجل دفنه
أصحابه في حفرة ، ثم واروه ، حتى يكون آخركم
رجلا واحدا ، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب
جميعا ..

فقالوا له :

— نعم ما أمرت به ..

وقام كل واحد منهم فحفر حفرة .. ثم جلسوا

يَنْتَظِرُونَ الْمَوْتَ عَطْشًا ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ لِأَصْحَابِهِ :

— وَاللَّهِ إِنْ جَلُوسْنَا وَانْتَظَرْنَا الْمَوْتَ هَكَذَا لَعَجْزٌ ..

لِمَاذَا لَا نَرْتَحِلُ ، فَعَسَى أَنْ يَرْزُقَنَا اللَّهُ مَاءً ؟

وهكذا تهيئوا للرحيل ، وتقدم عبدُ المطلب إلى ناقته فركبها ، فلما ضربت الأرض بخفها انفجرت من تحته عين ماء عذب ، فنزل عبدُ المطلب فشرب وشرب من معه .. ثم ملئوا أوعيتهم ، ودعا عبدُ المطلب من معه من قبائل قريش قائلا :

— هَلُمُّوا إِلَى الْمَاءِ ، فَقَدْ سَقَانَا اللَّهُ ، فَاشْرَبُوا وَامْلَأُوا أَوْعِيَتَكُمْ ..

فجاءوا فشرَبوا وسقوا دوابهم وملئوا أوعيتهم ، ثم قالوا لعبدِ المطلب :

— إِنْ الَّذِي سَقَاكَ هَذَا الْمَاءُ بِهَذِهِ الصَّحَرَاءِ ، لَهُوَ الَّذِي سَقَاكَ زَمْزَمَ ، فَارْجِعْ إِلَى سَقَايَتِكَ رَاشِدًا .. فرجع عبدُ المطلب ومن معه ، ولم يصلوا إلى كاهنة بني سعد ..

وبدأ عبد المطلب الحفر ، فلم يحفر كثيراً حتى
ظهر الماء . واستمر في الحفر فعثر على غزاليين من ذهب
، وهما الغزالان اللذان كانت جرههم قد دفنتهما في
البئر قبل رحيلها إلى اليمن .. كما وجد فيها سيوفاً
ودروعاً .. فقالت له قريش حين رأت ذلك :

- يا عبد المطلب ، لنا معك نصيب في هذه الأشياء ..
فقال عبد المطلب :

- لا ، ولكن نضرب عليها القداح ..
فقالوا له :

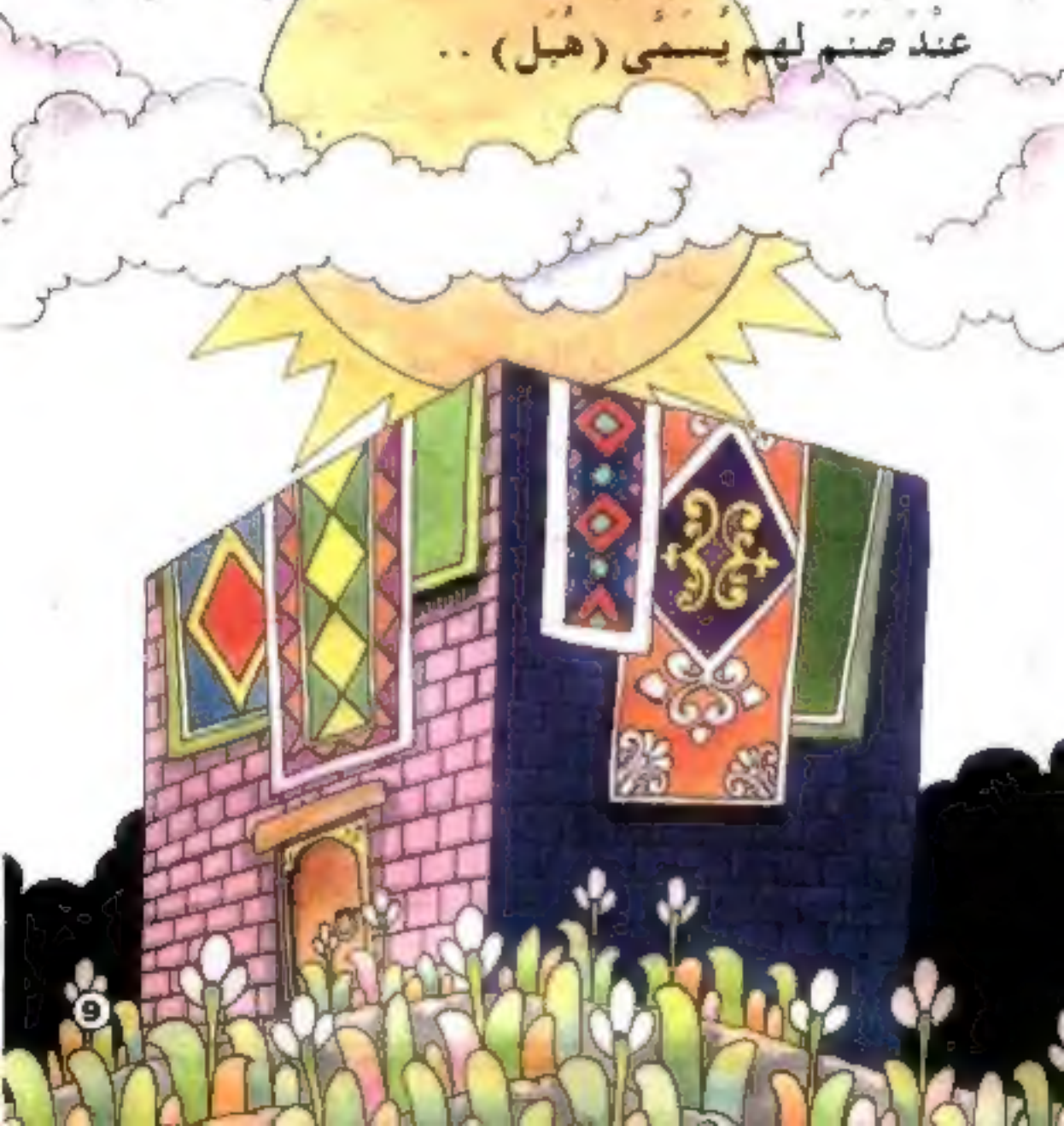
- وكيف يكون ذلك ؟
فقال عبد المطلب :

- أجعل للكعبة قدحين ، ولي قدحين ، ولكم
قدحين .. فمن خرج له قدحاه ، على شيء كان له ،
ومن تخلف قدحاه ، فلا شيء له ..

فَقَالُوا لَهُ :

— أَنْصَفْتَ (أَيَّ عَدَلْتِ) ..

وَقَدْ كَانَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِذَا أَرَادُوا فَعْلَ
شَيْءٍ ضَرَبُوا عَلَيْهِ الْقِدَاحَ .. وَكَانُوا يَضْرِبُونَ الْقِدَاحَ
عِنْدَ صَنْمِهِمْ يُسَمُّى (هَيْل) ..



فلما ضربوا القداح فازت الكعبة بالغزاليين ، وفاز
عبد المطلب بالسيوف والدروع ، أما قريش فلم تفز بشيء ..
وصنع عبد المطلب من السيوف بابا للكعبة ،
وحلأه بالغزاليين ..

وجعل عبد المطلب بئر زمزم لسقاية حجاج بيت
الله الحرام .. وكانت قريش قد حفرت آبارا كثيرة
قبل حفر عبد المطلب لزمزم ، فلما حفرت زمزم
انصرف الناس عن هذه الآبار إلى زمزم ، وذلك
لفضل ماء زمزم على غيره من المياه ، ولمكانة زمزم
من المسجد الحرام ، ولأنها بئر إسماعيل عليه السلام
وافتحرت بها بنو عبد مناف على قريش ، وعلى
سائر العرب جميعا ..

ومضت سنوات عديدة بعد حفر بئر زمزم ..

وخلال هذه السنوات أنجب عبد المطلب أولادا
وبنات ..

وجاء اليوم الذي بلغ فيه عدد أولاد

عبد المطلب المذكور عشرة من الولد .. وها هو ذا
أصغرهم عبد الله يبلغ مبلغ الرجال .. (أصغرهم في
ذلك الوقت لأنه أنجب بعد ذلك) نظر عبد المطلب
إلى بنيه العشرة ، وقد صاروا رجالا أقوياء يدافعون
عنه ويصرونه إذا اعتدى عليه معتمد ، أو ظلمه ظالم ..

وتذكر عبد المطلب النذر الذي كان قد نذره يوم هم
بحفر زمزم ، وحاولت قريش التصدي له ، ومنعه من
يل هذا الشرف العظيم .. تذكر أنه نذر يومها لو
ورقه الله بعشرة من الولد ، وبلغوا معه مبلغ الرجال
أن يدبح أحدهم عند الكعبة .. وتذكر أنه قد حان
الوقت ليفي بنبذره ..

ولذلك جمع عبد المطلب أبناء العشرة وأحضرهم
بالنذر الذي نذره ، فقالوا له جميعا .

— سمعنا وطاعة يا أبت ، ولكن ماذا تصنع حتى تفي

بندرك !

فقال عبد المطلب :

— لِيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ قَدْحًا ، ثُمَّ يَكْتُبُ فِيهِ اسْمَهُ ،
ثُمَّ انْتَرِي ..

فأخذ كلُّ واحدٍ مِنْ أَبْنَاءِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ الْعَشْرَةَ قَدْحًا
وَكَتَبَ فِيهِ اسْمَهُ ، ثُمَّ أَتَوْا أَبَاهُمْ ، فَأَخَذَهُمْ
عَبْدُ الْمَطْلَبِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي تُصْرَبُ فِيهِ الْقَدَاحُ عِنْدَ
صَنْمِ هَيْلَ فِي جُوفِ الْكَعْبَةِ ، وَطَلَبَ مِنَ الرَّحْلِ
الْمُخْصَصِ لَصَرْبِ الْقَدَاحِ أَنْ يَصْرِبَ عَلَى بَنِيهِ الْعَشْرَةَ
لِيَعْرِفَ أَيُّهُمْ سَيَقَعُ عَلَيْهِ الْاِحْتِيَارُ لِيَذْبَحَهُ ..

جَمَعَ الرَّجُلُ الْمُخْصَصُ لَصَرْبِ الْقَدَاحِ ، الْقَدَاحَ مِنْ
أَيْدِي أَبْنَاءِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ الْعَشْرَةَ ، وَصَرَبَهَا فَخَرَجَ قَدْحُ
عَبْدِ اللَّهِ ، فَأَمْسَكَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ السُّكَيْنَ وَأَخَذَ وَلَدَهُ
عَبْدَ اللَّهِ لِيَذْبَحَهُ عِنْدَ صَنْمِ إِسَافَ وَبَائِلَةَ ، فَلَمَّا رَأَتْ
قُرَيْشٌ ذَلِكَ ، قَامُوا إِلَيْهِ لِيَمْنَعُوهُ مِنْ ذَبْحِ وَلَدِهِ ..
فَقَالُوا لَهُ :

— مَاذَا تُرِيدُ يَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ ؟

فقال عبدُ المطلب :

— أذبحه وفاءً لنذري ..

فقالوا له :

— والله لا تذبحه أبداً ، حتى تعذر فيه (أى حتى

ترى إن كانت له فدية من الأموال فديته بها) لأن

فعلت ذلك لا يزال الرجل يأتي بابنه ، فيذبحه ، فما

بقاء الناس على هذا ؟ !



وقال أخوال عبد الله :

- والله لا تذبحه أبداً ، حتى تعذر فيه ، فإن كان
فداؤه بأموالنا فديناه ..

وقالت قريش وإخوة عبد الله :

- لا تذبحه ، وانطلق به إلى الحجاز ، فإن به عرافة ،
فسلها ، إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمر
لك وله فيه فرج قبلته ..

واستحسن عبد المطلب الفكرة ، فأخذ ولده عبد الله
مع مجموعة من قريش ، وسافروا إلى العرافة ،
فلما دخلوا عليها قصوا عليها القصة وطلبوا منها
النصح والمشورة ..

ف قالت لهم :

- كم الدية فيكم ؟ ! (أى كم تدفعون دية للرجل
الذى يقتل) .

فقالوا لها :

— عَشْرٌ مِنَ الْإِبِلِ ..

فَقَالَتِ الْعَرَّافَةُ :

— ارْجِعُوا إِلَى بِلَادِكُمْ ، ثُمَّ قَرَّبُوا صَاحِبَكُمْ ، وَقَرَّبُوا
عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ ، ثُمَّ اضْرِبُوا عَلَيْهَا وَعَلَيْهِ الْقَدَاحَ ، فَإِنْ
خَرَجَتْ عَلَى صَاحِبِكُمْ ، فزِيدُوا مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَعِيدُوا
ضَرْبَ الْقَدَاحِ ، حَتَّى يَرْضَى رَبُّكُمْ ، فَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى
الْإِبِلِ فَادْبَحُوهَا عَنْهُ فَقَدْ رَضِيَ رَبُّكُمْ ، وَنَجَا صَاحِبُكُمْ ..



وهكذا عاد عبد المطلب مع ولده عبد الله
ووقد قرّش من عند الكاهنة ، وقد رضوا بهذا الرأي ،
الذى سيكون فيه نجاة عبد الله من الذبح ..

وأحضر عبد المطلب عشرا من الإبل فأوقفها في
جانب وأوقف ولده عبد الله في الجانب الآخر ، ووقف
عبد المطلب يدعو الله (عز وجل) أن ينجي ولده ..

وضربت القداح فجاءت على عبد الله .. فماذا
يفعل عبد المطلب ؟

هل يذبح ولده ؟

(يتبع)

رقم الإصدار : ١٩٠٤ / ١٩٠٤

الترقيم الدولي : ٩٧٧-٩٦١-٩٦١-٩٦١

فصل الأنبياء

الكتاب التالي

محمد (صلى الله عليه وسلم)

(٤) أصعاب الفيل

أحرص على اقتنائه